ذاكرة مضمرة عن أنثى ما مع امرأة فعلية. ولذا فإنه حينما رآها راح ينبش في ذاكرته ويحاول كشف سر هذا الوجه الذي أمامه (كنت فتاة عادية، ولكن بتفاصيل غير عادية، بسر ما يكمن في مكان ما من وجهك ـ ص 54).

هذه ليست كلمات خالد ـ بطل الرواية ـ وليست كلمات أحلام ـ مؤلفة الرواية ـ، ولكنها لغة الذاكرة ومنطقها، وهي كما قلنا ذاكرة فحولة تجعل كل لقاء بين رجل وامرأة هو لقاء سر ما ووجه ما. وتجعل ما هو عادي أو يفترض أن يكون عادياً تجعله غير عادي.

لهذا يتمنى خالد أن لو كانت أحلام هي شهرزاد (ص 336). لماذا...؟

لأن كل امرأة هي عند الرجل شهرزاد.

هذا هو ما تفرضه ذاكرة اللغة. ولهذا قال خالد لأحلام:

(ما أعرفه عنك لا علاقة له بالمنطق ولا بالمعرفة ـ ص 99)...
(كان في عينيك دعوة لشيء ما، كان فيها وعد غامض بقصة ما ـ ص 69).

(لو كنتِ لي لامتلكتك... لاعتصرتك... لحولتك إلى قطع... إلى بقايا امرأة ـ ص 333).

من الذي يتكلم هنا... هل هو شهريار أم خالد...؟

أم أنه لا هذا ولا ذاك، ولكنه صوت ذاكرة اللغة بموروثها الفحولي الذي يطغى على كل اعتبارات النص والحداثة والوعي الكتابي.

هذه صورة رجل يحضر بوصفه بطلاً في نص أنثوي وهو نص كتبته صاحبته في مرحلة متقدمة من زمن الكتابة الأنثوية وزمن الحداثة الإبداعية. وكان من الممكن افتراض ظهور الرجل بمقاييس جديدة، تكشف عن نضج حضاري في علاقة الجنسين. لولا أن سلطان الذاكرة